العمل الخيري ودوره في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية

صباح خضر أحمد عبد الحي[1]
Sabahkh61@gmail.com

الملخص

هدف هذا البحث إلى تبيين مفهوم العمل الخيري والفهم المقاصدي له، وكيف أنّه يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو مبدأ إسلامي راسخ برسوخ الإسلام كما وضحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. كما أنّ البحث يسلط الضوء على الدور الكبير الذي يؤديه عمل الخير في إصلاح الفرد والأسرة، ويكون سبباً لتحقيق الأمن والفلاح وتنمية وتطوير المجتمعات؛ وذلك من خلال ما تقدمه الجمعيات والمنظمات والمؤسسات التطوعية من برامج ثقافية ودعوية وخدمية لإصلاح ومعالجة مشكلات الأسرة والمجتمع. وتأتى أهمية هذا البحث لارتباطه بالعبادة ورضا الله سبحانه وتعالى، كما أنّه ينمي الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين وإشعارهم بقدرتهم على العطاء، وهو يشمل الجوانب المادية والمعنوية. اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي. توصلت الباحثة إلى نتائج أهمها: إنّ عمل الخير عمل خال من الربح، وفاعله يؤثر غيره على نفسه لنيل رضا الله ﷻ، ومن أهم توصيات البحث: إنّه يجب على الإنسان أن يسعى جاهداً ليقدم عملاً خيرياً يتعدى نفعه إلى غيره، ويشارك بما يتاح له من إمكانيات في أعمال البر أياً كان نوعها اجتماعية، دعوية، إعلامية، صحية، حتى تتضافر الجهود وصولاً إلى المجتمع الإسلامي الأنموذج، مجتمع النبي ﷺ الذي يقوم على التآخي والتآلف والترابط والتعاون، وبه يُستحق وصف أمة الإسلام بأنّها خير الأمم.

---

[1] أستاذ الفقه المشارك - معهد إسلام المعرفة - جامعة الجزيرة

مقدمة:

العمل الخيري هو النفع المادي والمعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره فقيراً أو غنياً، وله قيمة إنسانية كبرى تتمثل في العطاء بكل أنواعه، وتأتي أهميته من ارتباطه بالعبادة، ورضا الله﴿ﷻ﴾، وهو مبدأ إسلامي ثابت راسخ برسوخ الإسلام، ويستمد مشروعيته من الكتاب والسنة، وتبرز أهمية عمل الخير إذا انضبط بقواعد الشرع جلباً للنفع، ودفعاً للضرر، وهذا مقصود الشارع من عمل الخير وذلك من أجل مصالح الناس جميعاً، لكن الشارع عين فئات ونص عليها وهم الأكثر حاجة، ولتحقيق كفايتهم وسد احتياجاتهم الضرورية، ولتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وتحقيق التوازن بين شرائح المجتمع، وصولاً إلى المجتمع المتآلف المتراحم الذي تسمو فيه النفوس وتزكوا بالبذل والعطاء والإنفاق في سبيل رضا الله ﴿ﷻ﴾وتحقيق مراده في الاستخلاف لإقامة مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

من أهداف هذا البحث:

1- إبراز وتأصيل العمل الخيري وقيمته في الإسلام.
2- تعزيز قيمة العمل الخيري بجوانبه المادية والمعنوية.
3- تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين، وإشعارهم بقدرتهم على العطاء تسابقاً للقرب من الله ﴿ﷻ﴾.
4- تحقيق الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع ليصبح المجتمع المسلم متراحماً.
5- إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذا النوع من البحوث لتطوير نظرة أفراد المجتمع لرفع قيمة العمل الخيري خاصة عند النظر إلى الفوائد الملموسة التي يجنيها المجتمع من المنظمات التطوعية والخيرية وما تقوم به.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي جعلت الباحث يختار (العمل الخيري ودوره في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية)، نسبة لاهتمامه بمثل هذا النوع من البحوث التي لها علاقة مباشرة بإصلاح الأسرة والمجتمع؛ وذلك لأنّ الأسرة تأثرت أخيراً بما يدور حولها من تغييرات سالبة في كل جوانب الحياة، فلابد من المساهمة في كيفية الإصلاح ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً كلُ حسب قدرته وفي مجاله، ونكون قد حققنا الإصلاح الذي هو مقصد الشريعة الأول.

الدراسات السابقة:

على حسب اطلاع الباحثة على بعض الدراسات في عمل الخير فهناك دراسة لباحث الدكتوراه أحمد عرفة بجامعة الأزهر عن (العمل الخيرى ودوره في تنمية المجتمع) تعرض فيها الباحث لمجالات العمل الخيرى وربطه بالموارد البشرية، وربط أيضاً مفهوم العمل الخيرى بالتنمية الشاملة. ودراسة الدكتور يوسف بن بغداد تناول فيها العمل الخيرى في الإسلام تأصيله وأهدافه وأنواعه، هذه الدراسة عرضت في موقع أحمد السيد كردى، فالاختلاف بين هذه الدراسات ودراسة الباحث في أن الباحث ربط عمل الخير وكيفية تحقيقه لمقاصد الشريعة وهناك كتابات تناولت إصلاح المجتمع في القرآن مثل كتاب أمين نعمان الصلاحي (كتاب الأمة)، لكن بالنسبة لربط المقاصد بعمل الخير فإنّ أبرز ما كتب عنها هو الشيخ القرضاوي في كتابه (أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية،) وهو كتاب مهم لمثل هذا النوع من البحوث، وبما أنّ موضوع الباحثة هو (العمل الخيرى ودوره في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية)، فالباحثة أفادت من الكتب أعلاه للربط بين المقاصد وعمل الخير وما يقوم به من إصلاح للفرد والأسرة والمجتمع وتوفير حاجاتهم الضرورية، من خلال عرضه

لمجالات الإصلاح التي تقوم بها المؤسسات والمنظمات التطوعية الخيرية غير الربحية، وما تقدمه من مساعدات، حيث تعرض الباحثة لنماذج من عمل الخير في السودان، عكست تضافر الجهد الشعبي والمجتمعي (الإغاثات - إصحاح البيئة وحملات تطعيم. الأطفال...إلخ)، وهذا وجه الاختلاف بينه وما تعرضت له الكتب سالفة الذكر.

في هذا البحث تحاول الباحثة أن تجيب عن الأسئلة الآتية :

1- ما مقاصد العمل الخيري وقيمته في الإسلام؟
2- ما التأصيل الشرعي للعمل الخيري؟
3- ما أهداف العمل الخيرى وتطبيقاته بوصفه مقصداً عاماً للشريعة؟
4- ما دور ومساهمات العمل الخيري في الإصلاح الأسري والمجتمعي؟

خطة البحث تتكون من:

مقدمة تحدثت فيها الباحثة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه والدراسات السابقة، وأسئلة البحث والمنهج الذي اتبعته الباحثة في هذه الدراسة، وأربعة مباحث بمطالبها وهي:

المبحث الأول: التعريفات بمصطلحات المقاصد – العمل الخيري – الإصلاح المجتمعي.

وينقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تعريف المقاصد في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف العمل الخيري.

المطلب الثالث : تعريف الإصلاح المجتمعي.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي لعمل الخير من الكتاب والسنة .

وينقسم إلى مطلبين: المطلب الأول: أدلة عمل الخير من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أدلة عمل الخير من السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهداف وتطبيقات عمل الخير كونه مقصد عام للشريعة.

وينقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أهداف العمل الخيري.

المطلب الثاني : تطبيقات العمل الخيري.

المطلب الثالث : العمل الخيري مقصداً عاماً للشريعة

المبحث الرابع: دور العمل الخيري في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية .

وينقسم إلى أربعة مطالب: المطلب الأول: إصلاح دين الفرد والأسرة.

المطلب الثاني: حفظ النفس والعقل للفرد والأسرة.

المطلب الثالث: حفظ النسل والمال.

المطلب الرابع: دور العمل الخيري في إصلاح وتطوير وتنمية المجتمع.

وخاتمة ذكرت فيها الباحثة ما توصلت إليه من نتائج وأهم التوصيات وفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريف مصطلحات: المقاصد – العمل الخيري – الإصلاح المجتمعي

وينقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقاصد في اللغة و الاصطلاح:

أولا: المقاصد لغة:

جمع مقصد مشتقة من الفعل قصد يقصد قصداً، والمقصد في اللغة يطلق ويراد به معانٍ كثيرة منها: استقامة الطريق وشاهده قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[1] أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومن المعاني أيضاً العدل،

[1] سورة النحل: آية 9.

ويقصد الحكم بالعدل والتوسط بين الإفراط والتفريط، والقصد أيضاً الاعتماد والتوجه، قصد يقصده قصداً أي سار اتجاهه ونحا نحوه[1]. وهذا المعنى متداول كثيراً في الكلام وهو المستعمل في كلام الفقهاء والأصوليين، أي ما استهدفه المكلف بباطنه وسار تجاهه ونحا نحوه مثّل إرادته الباطنة. ومنها أيضاً التوجه والأم، فيقال قصد البيت إذا توجه إليه، وأم إلى البيت أي قصد إلى البيت.

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً:

لم يضع علماء الأصول قديماً تعريفاً محدداً للمقاصد، مع أنّهم تناولوها ضمن كتبهم إلاّ أنّه لم ينقل عنهم تعريف معين، وقد دارت تعريفاتهم في معان متقاربة، وظهر من خلال استعمالهم لهذا اللفظ في الغالب أنّ المراد هو عين المعنى اللغوي، ومن ذلك قاعدة "الأمور بمقاصدها" حيث يراد بالمقاصد هنا ما يريده ويستهدفه المكلف ويضمره في نيته ويسير نحوه في عمله[2].

وقد قسم علماء المقاصد مقاصد الشريعة إلى: مقصد الشارع من الخلق ومقصده من التشريع والتكليف. فمقصد الشارع من الخلق خاص بالعبادة كما في قوله تعالى(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[3]. ويرى الشاطبى أنّ المقصد الشرعي من وضع الشريعة (إخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً بمعنى الرجوع إلى الله في جميع الأحوال، والانقياد إلى أحكامه على كل حال وهو معنى التعبد لله[4]. ومقصد الشارع من التشريع يعنى الغاية التي يرمى إليها التشريع والأسرار التي وضعها عند كل حكم من الأحكام، وبذلك تكون

---

[1] :ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب 96/3، بيروت، دار صادر، 1997م، وأنظر القامس المحيط ،الفيروزآبادي، ص 396، مجد الدين محمد بن يعقوب ، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، (بدون).

[2] عبد الرحمن الكيلاني: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبى ص 45،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر،ط1، دمشق، 2000م.

[3] الذاريات الآية (56)

[4] الموافقات ،للشاطبى 37/2)

الشريعة مستهدفة تحقيق مقصد عام وهو الأفراد والجماعة. أما مقصد المكلف (هو أن يكون قصد الإنسان المكلف موافقاً لقصد الشارع حيث إنّ المطلوب من المكلف أن يجري ذلك في أفعاله، وألا يقصد خلاف ما قصد الشارع؛ لأنّ المكلف خلق لعبادة الله[1].

ومن التعريفات التي وضعها علماء المقاصد مثلاً تعريف ابن عاشور "إنّها المعاني والحكم الملحوظة في جميع أحوال التشريع أو معظمها"[2].وعرفها علاّل الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم"[3]. وعرفها يوسف العالم بأنّها: "الغاية التي يرمي إليها التشريع، والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام"[4]

ونلاحظ أنّ هذه التعريفات تُعرف المقاصد من حيث العموم إلا أنّ هناك مقصداً كلياً وحكمة عامة جامعة جاءت جميع الأحكام الشرعية لتحقيقها وهي "جلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها". والمقصود بجلب المصالح: سوقها للمكلف وتحصيلها له، ودرء المفاسد: أي حبسها ومنعها عن المكلف ورفع الضرر عنه، وتقليل المفاسد تخفيفها إذا تعذر درؤها بالكلية. وقال الإمام الشاطبي "إنّ الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية"[5]. ومصالح الناس في

---

[1] أنظر الموافقات ،للشاطبي 37/2.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: وهو من المعاصرين الذين عملوا على تطوير نظرية الشاطبي ،وتوسع في استخراج مقاصد الشريعة، في كل قسم كالعبادات والأحوال الشخصية . وكذلك له كتاب التحرير والتنوير في التفسير، انظر مقاصد الشريعة ص 51، مطبعة الاستقامة، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.(بدون)

[3] علال الفاسي: مقاصد الشريعة ومكارمها، ص 5، نشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.(بدون)

[4] يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص 6، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، 1991م 1421هـ.

[5] أبو اسحق الشاطبي :الموافقات ، وهو واضع نظرية المقاصد واستكمل ما بدأه الفقهاء قبله واعتبر كتابه الموافقات في أصول الشريعة فتحا في علم الأصول حيث وضع المنهج الأصولي في صورة متكاملة ، 37/2، بيروت، دار المعرفة، 1975م، وطبعة دار الفكر بتحقيق مخلوف.

دنياهم هي كل ما فيه نفعهم وفائدتهم وصلاحهم وسعادتهم وراحتهم، وكل ما يساعدهم على تجنب الأذى والضرر ودفع الفساد إن عاجلاً أو أجلاً.

وخلاصة القول مما سبق ذكره أنّ المقاصد تنقسم إلى قسمين: مقاصد المكلف وهذه التي وردت في بداية التعريفات، ومقاصد الشارع. وقد اختار الفقهاء تعريف ابن عاشور وهو "المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة، التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحِكمْ ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها[1].

المطلب الثاني: تعريف العمل الخيري:

العمل في اللغة :المهنة والفعل[2]، أما الخير فهو ضد الشر، وجمعه خيور وقوله تعالى: (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)[3] جمع خَيرّة وهي الفاضلة من كل شئ[4].

وتعريف العمل في الاصطلاح: عرف القرضاوي العمل الخيري بأنّه "النفع المادي والمعنوي، الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلاً مادياً، ولكن ليحقق هدفاً خاصاً له أكبر من المقابل المادي، قد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء، أو الشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا. والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة، رجاء الثواب عند الله تعالى والدخول في جنات النعيم

[1] ابن عاشور مقاصد الشريعة ص183

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة ع م ل، 475/11.

[3] سورة المؤمنون: آية 61.

[4] ابن منظور: لسان العرب، مادة خ ي ر، 264/4.

فضلاً عما يناله في الدنيا من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية، لا تقدر بثمن عند أهلها"[1].

وعرّفه د. الريسوني بأنّه "أعمال البر وصنائع المعروف التي يجود بها المجتمع المدني، بدءاً من الفرد، ومَرّاً بالجماعة، وانتهاءً إلى المؤسسة. ولا يقتصر هذا العمل على جلب الموارد وإدارة المال وصرفه في الوجوه المشروعة، وإنّما يتعدى ذلك إلى التخطيط لسبل الإنماء والتطوير، بما يتاح من برامج ثقافية ودعوية وإعلامية"[2].

المطلب الثالث: تعريف الإصلاح المجتمعي:

الإصلاح في اللغة: من صلح: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، صَلَح الشيء يصلُح صَلاحاً[3].

ويقول ابن منظور: "الصلاح ضد الفساد. والإصلاح نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده، أقامه"[4].

أما في الاصطلاح: فقد عرفه بعضهم بقوله: "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حاله بإزاء ما طرأ عليه من فساد[5]. وعرفه آخرون بأنّه "إرادة الخير وتقويم العِوج"[6] العِوج"[6]

أما المجتمع فهو: "عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون سوياً في حياة منظمة بينهم مجموعة من الصلات والمبادئ والقيم والأهداف المشتركة"[7].

---

[1] يوسف القرضاوي: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ص 21، دار الشروق، ط2، 2008م.

[2] د. أحمد الريسوني: قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، ص7، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دبي، 2008م

[3] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسن أحمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 303/3،بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.

[4] ابن منظور، لسان العرب ،مادة صلح، 60/4 – 61، (مرجع سابق).

[5] الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره لقوله تعالى: (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)سورة الاسراء، أية 25.

[6] الشيخ هاشم محمد، سلسلة المنهاج، 66/2، مكتبة دار البيان، الكويت،ط1989،2م.

[7] إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع ،ص 550، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1999م.

مما سبق يكون إصلاح المجتمع بمعنى "تقويم اعوجاجه أيّ كان". وبهذا المعنى يتسع مفهوم إصلاح المجتمع ليشمل جوانب الحياة كلها، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. ويرى إحسان محمد الحسن" أنه من المهم لإصلاح المجتمع أن تكون هناك خطة مرسومة، فالإصلاح لا يحدث بصورة عفوية أو عشوائية، وإنّما يحدث بطريقة مخططة تأخذ في الحسبان الوسائل الإجرائية للإصلاح"[1].

المبحث الثاني

التأصيل الشرعي لعمل الخير من الكتاب والسنة

يعد عمل الخير في الإسلام من أهم الأعمال شأنه شأن باقي الأعمال التي يقوم بها المسلم، وتنطلق هذه الأهمية من القيمة المضافة لهذا العمل الخيري، والاستفادة المترتبة عليه، لأنه عمل يتقرب به المسلم إلى الله وهو جزء من العبادة، وهناك آيات كثيرة وأحاديث تدعو المسلم وتحثه إلى عمل الخير وبذل الوسع فيه.

المطلب الأول: أدلة عمل الخير من القرآن الكريم:

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنّ عمل الخير ورد في القرآن الكريم بدلالات مختلفة، وسياقات عديدة؛ وذلك بدلالة كثرة الأمر به والحض عليه ومدح فاعليه وتحذير تاركيه في كثير من آيات القرآن الكريم، وقد ورد لفظ الخير 128 مرة في القرآن، وورد لفظ "أخيار" و "خيرات" "وخيرة" 8 مرات في سياقات متنوعة تربط "الخير" بجوانب أساسية من الحياة المدنية التي يعيشها الناس، كما ورد في بعض الحالات ضمن سياقات (أقل عدداً) تربط بالحياة الآخرة، ومن الآيات القرآنية التي تحض على فعل الخير، ومد يد العون إلى الآخرين، ومساعدة المحتاجين، وجاءت مقرونة بأركان الإيمان وفرائض الإسلام، قال تعالى (أَيُّهَا الَّذِينَ

[1] أ إحسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص 62.

أَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1]،وقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2]،ومن الآيات التي تحث على المسارعة في عمل الخير قوله تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[3]. . ومن الآيات التي تثني على الذين يسارعون بعمل الخيرات قوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)[4]، وفي وصف أهل الخشية من ربهم قوله تعالى: (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)[5]، أما عن السياقات التي ورد فيها ذكر الخير، فمنها ما ورد في القرآن عند الحديث عن العلم، ومن ذلك قوله تعالى: (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[6]، ومنها ما ورد عند الحديث عن العمل، ومن ذلك قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)[7]، وورد في سياق الحديث عن الكفاءة والمقدرة، ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)[8]، وفي سياق الحديث عن العدالة جاء قوله تعالى: (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[9]، وللحض على المنافسة والسبق في الأعمال المفيدة قوله تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)[10]، وقوله : (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ)[11]، وفي سياق الحديث عن الإنفاق قال تعالى: (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

[1] سورة الحج: آية 77.
[2] سورة آل عمران: آية 104،
[3] سورة المائدة: آية 48.
[4] سورة آل عمران: آية 114
[5] سورة المؤمنون: آية 61.
[6] سورة الصف: آية 11.
[7] سورة الزلزلة: آية 7.
[8] سورة القصص: آية 26.
[9] سورة الاسراء: آية 35.
[10] سورة البقرة: آية 148.
[11] سورة فاطر: آية 32.

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[1]، وثمة مواضع أخرى كثيرة، تتبعها الباحث من القرآن فيها ورود الأمر بعمل الخير، والحض عليه، والثناء على من يقومون به الوعد بالأجر العظيم قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[2]، والوعيد الشديد للذين لم يقوموا من الخير بشيء، قال تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)[3]، وقال تعالى: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ)[4]، وأنّ العمل الخيري مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة الغراء، كما كما ورد في سياق القرآن الكريم على سبيل الوجوب والإلزام، لا على سبيل التفضل والتطوع، فقال تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[5]، والقرآن يخبرنا أن كل ما ننفقه في وجوه الخير والبر والإحسان والإحسان ابتغاء وجه الله، فإن الله يعوض عنه، قال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[6]، كما نجد القرآن الكريم يطرق على قضية العمل الخيري بقوة، ويتناولها من جوانب كثيرة، ونواح عديدة، ومقصد كل ذلك هو حث المجتمع المسلم على الانحياز إلى عمل الخير، ومساعدة المحتاجين، ومد يد العون والمواساة كونها من أفضل الأعمال الصالحة، وأعظم القربات التي لا تبرأ منها ذمة المجتمع، ولا ينجو من عذاب الله إلا بأدائها.

---

[1] سورة البقرة: آية 215.

[2] سورة النساء: آية 114.

[3] سورة الماعون: آية 1 – 3

[4] سورة المدثر: آية 42 – 44.

[5] سورة التوبة: آية 60.

[6] سورة سبأ: آية 36.

المطلب الثاني: أدلة عمل الخير من السنة النبوية:

* عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾قال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن يفرج عن مسلم كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).[2] وقال الحافظ بن حجر (لا يسلمه، أي لا يتركه مع من يؤذيه ،ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه. وقد يكون ذلك واجباً وقد يكون مندوباً بحسب اختلاف الأحوال[3] وأضاف الباحث أن لا يتركه للهلاك مثلاً إنقاذه من مرض مهلك أو فقر مذل إلى غير ذلك من المساعدات المهمة.

* وقال ﴿ﷺ﴾(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار)[4]

* وعن ابن عباس عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: (من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنوات)[5]، وإعانة ذوي الاحتياجات الخاصة، من أفضل الأعمال الأعمال وكف الشر عن الناس درجة عليا من درجات العمل التطوعي.

---

[1] صحيح مسلم، الإمام مسلم أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم 6586، ص 1131. دار السلام للنشر والتوزيع، ط1419،1هـ، 1998م.

[2] ابن حجر، فتح البارى شرح البخارى، كتاب المظالم ،باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه،22/6.وصحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم المظالم،18/8

[3] ابن حجر، فتح البارى 22/6

[4] صحيح البخارى، البخارى، باب فضل النفقة على الأهل ،حديث رقم (1969)،2047/5.

[5] المعجم الوسيط للطبراني، حديث رقم (7326)،220/7.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمال أفضل، قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله قلت: أي الرقاب أفضل قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين ضائعاً أو تصنع لأخرق، قال: قلت يا رسول الله إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شَرّك عن الناس فإنّها صدقة منك على نفسك والضائع هنا: هم ذووا الضيع من فقر أو عيال كثير، والأخرق هو من لا صنعة له.)[1].

فكل الأحاديث تشير إلى التعاون الذي يجب أن يكون في المجتمع المسلم لكن "مما يؤسف له أن المجتمعات تشتد فيها الحاجات وتكثر الضرورات التي تمس حياة الناس بينما تضعف روح البذل والعطاء وتقل المروءات. وما أحوج مجتمعاتنا وهي تتحسس طريق النهضة أن يعي الفرد فيها _ رجلاً كان أم امرأة _ مسؤوليته الشرعية إزاء حاجات المجتمع فضلاً عن ضروراته. وإن لم تسد تلك الحاجات وتحقق تلك الضرورات فكلنا رجالاً ونساء شركاء في جريمة التخلف قاعدون عن الجهاد في سبيل إحياء مجتمع المسلمين وتقدمهم، ومحاسبون بين يدي الله يوم القيامة)[2].

المبحث الثالث

أهداف العمل الخيري وتطبيقاته بوصفه مقصدا عاما للشريعة

المطلب الأول: أهداف العمل الخيري:

يمثل العمل الخيري قيمة إنسانية كبرى تتمثل في العطاء بكل أنواعه، كما تأتي أهميته من ارتباطه بالعبادة ورضا الله ﴿ﷻ﴾كما ذكرنا في الأدلة القرآنية

[1] صحيح البخارى، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل،74/6،صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال ،62/1

[2] تحرير المرأة في عصر الرسالة، دراسة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم، عبد الحليم أبو شقة، 2/ 398، دار القلم للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1410هـ 1990م.

وكذلك الأحاديث النبوية. فالعمل الخيري مطلب ديني ويمكن أن يقوم به الفرد وحده، ويمكن أن تقوم به المؤسسات والجماعات والجمعيات وهو الأكثر نفعاً فهو حاجة اجتماعية وضرورة إنسانية، ويمكن أن يكون لظروف طارئة كإنقاذ غريق أو إطفاء حريق (سنتعرض لها في دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري والمجتمعي).

وبما أنّ العمل الخيري عمل خال من الربح والعائد فالمتطوع بهذا العمل يقدم الايثارية على الأنانية والبذل على الكسب،[1]: وهدفه كما بينه د يوسف بغدادى:

1- رضا الله سبحانه وتعالى، ويبتغي الثواب الجزيل من الله في الدنيا والآخرة، كما جاء في الآيات والأحاديث.
2- مساعدة الآخرين ليضمن لهم الحياة الكريمة، وفي ذلك نشر لقيمة التضامن والتعاون، وسعادة لا تضاهيها سعادة كونك تكون سبباً في سعادة الآخرين، إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن وأن يفرج عنه غماً أو يقضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع .
3- في تقديم عمل الخير للآخرين دعوة صريحة للإسلام وهو دين المحبة والإخاء وفي ذلك دعوة الآخرين للإسلام لما فيه من صفات تشجع الآخر لاعتناق الإسلام.
4- بتقديم عمل الخير للآخرين يكون قد ساعد في معالجة الكثير من المشكلات للأفراد والجماعات[2].

المطلب الثاني: تطبيقات العمل الخيري:

التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية حافلة بأعمال الخير التي قام بها النبي ﷺوصحابته الكرام رضي الله عنهم والتابعون الذين تأسوا بهم استجابة

[1] أحمد عرفه، باحث دكتوراه جامعة الأزهر الشريف، غضو الجمعية الفقهية، السعودية، عضو الجمعية المصرية للتمويل الإسلامي، Ahmedaratat11@yahoo.com.

[2] يوسف بغدادي، ورقة بحثية ،عبادات ومعاملات ،أكتوبر 2012م.

لنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تشير إلى قيمة العمل الخيري وفائدته للأفراد والجماعات، وتنوعت سبل العمل الخيري، وإنّ من أعظم تطبيقات العمل الخيري الذي يعد تكافلاً اجتماعياً، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ آخى بين أبى عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة)[1]، وحتى كتاب الوحي الذين كانوا يمارسون الكتابة في توثيق آيات القرآن الكريم الذي يمثل أهم ركن في عقيدة المسلمين فهو منهاج حياتهم ودستور دولتهم، وكذلك بناء المسجد النبوي الشريف وحفر الخندق وغيرها من الأعمال التطوعية التي كان يتسابق إليها المسلمون. وخير نموذج لذلك دعوته عليه السلام لشراء بئر ماء احتاج له المسلمون منعه عنهم صاحبها، حيث أوضح الأجر الوفير في الآخرة لمن يرغب، وقد اشتراها سيدنا عثمان بن عفان وجعلها وقفاً للمسلمين؛ وذلك لتشجيعهم على أعمال الخير والمبادرة لها وعدم التقليل من شأن العمل التطوعي؛ لأنّه يدر أجراً وخيراً في الآخرة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾كل سُلامي* من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس قال: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة، قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)[2]، فالحديث لم يحصر أنواع الصدقات وأعمال الخير بل هي نماذج يمكن القياس عليها، فإعانة

[1] صحيح مسلم، الإمام مسلم، باب مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه رضي الله عنهم، حديث رقم 6462، ص 1109

* والسُلامي: بضم المهملة تخفيف اللام على العقد أي مفصل، أصله نظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل في جميع عظام اليدين، والمعنى: أي على كل مسلم مكلف بعدد كل مفصل صدقة لله تعالى على سبيل الشكر له بأن جعل عظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط، وخصت بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص الآدمي بها، عليه صدقة) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد ،باب أخد الزكاة ونحوه ،472/6.

[2] صحيح مسلم، الامام مسلم، كتاب الزكاة، باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ،حديث رقم 2335 ص 407.

من يحمل أحمالاً ثقيلة وهو في أي من المطارات، أو أي مكان وهو كبير ويحمل أشياء فيها مشقة يمكن مساعدته مثلاً حتى لا نتقيد بألفاظ الحديث، فيجب الاجتهاد في النصوص. وكذلك العدل بين اثنين سواء كانوا أفراداً أو أسراً أو قبائل أو دول وفي ذلك إصلاح ومؤاخاة فيها الأجر. عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ﴾قال: (لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)[1].

ونلاحظ من الآيات والأحاديث أنّ عمل الخير التطوعي يمكن أن يكون باللسان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي للإصلاح بين الناس، أو يكون بدنياً كما في الحديث (قطع شجرة) وقياساً عليها إماطة الأذى عن الطريق وما نشاهده اليوم أنّ أكثر الناس لا يقوم إلاّ بما يهمه لنفسه فقط، مثلاً تنظيف منزله ورمي النفايات والأوساخ خارج المنزل فيؤذي المارة بالطريق ويسد مجاري المياه (في فصل الخريف) إلى غيرها من النماذج، فعمل الخير والعمل التطوعي يجب أن يعتني به كل إنسان ذكراً كان أو أنثى، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: (كنت في المسجد فرأيت النبي ﴿ﷺ﴾فقال: "تصدقن ولو من حليّكن" وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها فقالت: فانطلقت إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال فقلنا: سل النبي ﴿ﷺ﴾أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام في حجري؟ فدخل فسأله فقال: نعم ولها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة)[2]. وكل أحد على ما يستطيع وحسب مقدرته الجسدية والمادية ولا يحقر من المعروف شيئاً مهما صغر؛ لأنّه يسد ثغرة

[1] صحيح مسلم ، مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ،حديث رقم 667،ص 1143

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والايتام في الحجر، 71/4، طبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب فضل المنفقة والصدقة على الاقربين 80/3، طبعة استانبول.

بالنسبة للأفراد والأسر والمجتمع والأمة، في حاجة ماسة لها حتى تتضافر الجهود ويكون الفائدة لجميع أفراد المجتمع وتحقيق الترابط والتآلف والتآخي بين أفراد المجتمع كما أشار النبي ﴿ﷺ﴾في حديثه أنهم كالجسد الواحد.

مما سبق يتضح أن مفهوم عمل الخير والعمل التطوعي مفهوم واسع لا حد له، فإذا عجز الشخص من أن يفعل أدناه فإنّه يمكن لكل أحد أن يكف شره عن الناس فإنها صدقة منه على نفسه وعلى الناس كما أوضح النبي ﴿ﷺ﴾ في حديث أبي ذر الغفاري (الذي سبق ذكره) مع النبي ﴿ﷺ﴾حين سأله عن عجزه وضعفه فقال له تكف شرك عن الناس فلابد إذن من معرفة قيم عمل الخير في الإسلام وأهمية القيام به لتحقيق السكينة والطمأنينة والسعادة للمجتمع أفراداً وجماعات.

إنّ الدين الإسلامي لا يفصل بين الصدقة والعمل التطوعي، فتعريف العمل الخيري الذي أشرنا إليه سابقاً، وتطبيقاته في التراث الإسلامي تشتمل على كل معاني العمل التطوعي، وهي ذات قيمة اجتماعية ودينية متجذرة ومتعمقة في المجتمع الإسلامي الذي لا يفصل بين مساعدة الآخرين بمفهوم تطوعي وبين الصدقة بمفهومها الإسلامي الذي يدعو له الشرع الحنيف وتاريخ الصحابة ملئ بنماذج من أعمال الخير، فيقول الحسن البصري رحمه الله: (لأن أقضي حاجة لأخ أحب إليّ من أن أصلي ألف ركعة، ولأن أقضي حاجة لأخ أحب إليّ من أن اعتكف شهرين)، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (لأن أعدل أهل بيت المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلىّ من حجة، ولطبق بدرهم أهديه إلى أخ لي في الله أحب إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله)، وواضح من أعمال السلف أنّ قضاء حوائج الناس الضرورية كانت مقدمة على الاعتكاف في المسجد وعلى الحج الذي هو من أركان الإسلام (غير حجة الفريضة)، ونلاحظ اليوم أنّ

البعض يحرص على الحج والعمرة عشرات المرات كأنّه للترفيه والنزهة، وفي المجتمع المسلم من هو أحوج لهذا المال.

أما إذا كان دفع المال للغير بهدف الصلة لغرض دنيوي يكون قربة كالزكاة والصدقة والكفارة لكن النية هي الفيصل في ذلك[1]. فإذا كان دفعه للمؤسسات الخيرية بهدف التقليل من الضرائب فلا يقع فعله قربة، أو للتغطية على أنشطته غير المشروعة لا يقع موقع القربة ولا يؤجر فاعله.

المطلب الثالث: العمل الخيري مقصداً عاماً للشريعة:

كما ذكرنا أنّ هناك مقصداً كلياً لجميع الأحكام الشرعية وهي جلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، فالتكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وعَرفّ الإمام الشاطبي المصلحة بأنّها (ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان، وتمام عيشه ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية، والعقلية على الإطلاق)[2]. والمصلحة في اصطلاح الشرع ليست مقتصرة على المصالح المادية، ولا هي مقصورة في المصالح الدنيوية، بل تشكل كل ما يعود على الإنسان فرداً وجماعة بخير ونفع[3].

وبذا يكون القيام بعمل الخير إذا انضبط بقواعد الشرع، فيه تحقيق نفع ودفع ضرر؛ وهذا مطلوب مقصود للشارع أوجب مراعاته تحقيقاً لمصلحة الجهات المستحقة، فالغاية ابتداءً من فعل الخير القيام بمصالح فئات معينة نص عليها الشارع الحكيم، من خلال تحقيق كفايتهم وسد خلاتهم وإغنائهم، والشاهد من الأدلة الكلية قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى

[1] الإمام السيوطي، الأشباه والنظائر ،12/1، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

[2] الموافقات: الشاطبئ إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي،25/2، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، 1994م.

[3] أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده،، منشورات جريدة الزمن، ص 24، 1999م.

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[1] يقول العز بن عبد السلام:(أجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها والزجر عن المفاسد بأسرها، فإنّ الألف واللام في العدل والإحسان للعموم والاستغراق، فلا يبقي من دق العدل وجُلّه شيء إلاّ اندرج في قوله إنّ الله يأمر بالعدل، ولا يبقى من دق الإحسان وجُلّه شيء إلاّ اندرج في أمره بالإحسان، والعدل هو التسوية، والإنصاف، والإحسان إما جلب مصلحة أو دفع مفسدة)[2]، وفي هذا يقول إبراهيم بيومي: (إذا كان "تحقيق المصلحة" هو مدار نظرية المقاصد العامة للشريعة الغراء كما يذهب أغلب علماء المقاصد، فإنّ "الخير" وفق مفهومه القرآني هو وسيلة من وسائل المقاصد لإدراك تلك المصلحة، ولا يبلغ تحقيق المصلحة أعلى مراحله الإنسانية إلا في "مجتمع الخير العام"، وليس سوى السلام العام قرينة على بلوغ مجتمع الخير العام حسب فهمنا لمفهومه القرآني. "والخير العام" بهذا المعنى يقع في صميم الرسالة التي تحملها الأمة الإسلامية للعالم، فكونها "خير أمة" يجب عليها أن تفعل الخير وتدعو إليه، حتى تستريح البشرية كلها في ظلال "الخير" بمعاييره القرآنية، لا بمعاييره الوضعية البشرية، ومن هنا يتأكد لنا أنّ العمل الخيري مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة، وأنّ له في ذاته مقاصد أخرى كلها تصب باتجاه بناء مجتمع الخير العام الذي تهنأ فيه الإنسانية بالسعادة في الدارين)[3].

ومن المسلَّم به كما أشار الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (مبنى الخير هو تحقيق المصلحة الدائمة واطمئنان كل نفس في الدنيا، ومحبوب كل إنسان، وطبيعة الخير

---

[1] سورة النحل: آية 90.

[2] العز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي (ت660ه) من أشهر علماء مقاصد الشريعة حيث اشتهر بكتابه قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،وهو يتلخص في جلب المصالح ودرء المفاسد،62/2، تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعه ضميرية، دار القلم، دمشق، 2000م انظر مقاصد الشريعة الإسلامية ،ص48 ،تأليف د عبد الله محمد الأمين ود جمال الدين عبد العزيز الشريف.

[3] د إبراهيم بيومى ،رؤية القرآنية لمجتمع الخير العام: مجلة التفاهم، 2012م.

ملازمة لرعاية المصلحة الإنسانية التي أشاد بها الفقهاء في بيان ما يعرف بمقاصد الشريعة العامة، وهي الأصول الخمسة الكلية)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، أشار إلى أنّه: (من المعلوم يقيناً أنّ الشريعة وضعت من الخالق عز وجل لتحقيق مصالح الناس عاجلاً أم آجلاً، إما بجلب النفع لهم، أو لدفع الضرر والفساد عنهم كما دل عليه الاستقراء التام وتتبع موارد الأحكام، وأرشدت إليه النصوص الشرعية)[1].

وكذلك نبه العز بن عبد السلام إلى أنّ (مصالح الدنيا محصورة فيما تدعو إليه الضرورات أو الحاجيات أو التكميلات أو التتمات)[2] فالمصالح الشرعية هي مقاصد الشارع التي أرادها بتشريعه الأحكام فهي مقصودة ومراده[3].

وقسم العلماء المقاصد الكلية أو الضرورية وهي كما قال الشاطبي (هي ما لابد منه في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين والحفاظ عليها من جانب الوجود وجانب العدم)[4].

وقد حصر الإمامان الغزالي والشاطبى الضروريات في خمس، يقول الغزالي: (ومقصود الشرع في الخلق خمسة وهي أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة)[5]. وهذه الضروريات الخمس التي ستتناولها الباحثة في دور العمل الخيري بالنسبة للإصلاح الأسري والمجتمعي.

---

[1] د وهبة الزحيلى ،قيمة الخير العام والمصالح الإنسانية في القرآن وإدراكات الفقهاء:، الندوة الثالثة عشرة لتطور العلوم الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ورقة عمل، ص 1 وما بعدها.

[2] العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ،62/2.

[3] نور الدين مختار الخادمى ،مقاصد الشرعية: ،ص 23، مكتبة العبيكان،ط1421،1هـ 2001م.

[4] الشاطبى ، الموافقات: 8/2.

[5] محمد بن محمد أبى حامد الغزالي ،المستصفى في علم الأصول،174/1، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ،وأنظر الموافقات، الشاطبى 38/1.

المبحث الرابع

دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري وتنمية وتطور المجتمع

في هذا المبحث ستحاول الباحثة أن تسلط الضوء على دور عمل الخير في إصلاح المجتمع .

إنّ القرآن الكريم كله يدعو إلى إصلاح الحياة الإنسانية بدءاً بإصلاح المعتقدات والأفكار ومروراً بكل الأنماط السلوكية، وجميع جوانب الحياة الاجتماعية، فالقرآن يفرق بين الإيمان والإصلاح كما في قوله تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1] . ويقرن بين التقوى والإصلاح كما في قوله تعالى: (يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2] وهذا الربط بين الإيمان والتقوى من جهة والإصلاح من جهة أخرى لا يخفى أنّ المقصود من العلاقة التلازمية بين الإيمان والتقوى والإصلاح.

كذلك دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلها جاءت لإصلاح واقع مجتمعاتهم، وتقويم اعوجاج أقوالهم، ونلاحظ أنّ القرآن الكريم ملئ بالآيات التي تشير إلى أهمية ممارسة الإصلاح .ومن آثاره وثماره نذكر:

1- إنّه سبب لدفع الإهلاك عن المجتمعات قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[3].

2- إنّه سبب لتحقيق الأمن في المجتمعات قال تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[4] .

---

[1] سورة الأنعام، الآية (48).

[2] سورة الأعراف، الآية (35).

[3] سورة هود، الآية (117).

[4] سورة الأنعام، الآية (48).

3- إنّه سبب لاستجلاب مغفرة الله ورحمته قال تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)[1] ، وكذلك قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2].

4- إرادة الإصلاح سبب لأن يحيط الله العبد بتوفيقه قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)[3] .

5- الإصلاح سبب لاستحقاق الوصف بالخيرية قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[4] .

6- الإصلاح سبب للفلاح قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[5] . وحين نتأمل في صفات أهل الفلاح في هذه الآية نجدها صفات المصلحين وهي الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالإصلاح هو طريق الفلاح في الدنيا والآخرة[6].

كما تعرضنا سابقاً لتعريف الإصلاح والعمل الخيري الذي توصلنا إليه من خلال سردنا في البحث أنّه مقصد عام للشريعة، لأنّ تكاليف التشريع كلها ترجع

---

[1] سورة النساء، الآية (129).

[2] سورة الأنعام، الآية (54).

[3] سورة النساء، الآية (35).

[4] سورة آل عمران، الآية (110).

[5] سورة آل عمران، الآية (104).

[6] من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، أمين نعمان الصلاحي، ص35–39، سلسلة كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات، قطر، العدد 127، السنة 28، ط1، 1429ه – 2008م.

إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم. وكما يقول ابن تيمية رحمه الله: (إنّ الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنّها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما فقد أمر الله ورسوله بأفعال واجبه ومستحبة، وإن كان الواجب مستحباً وزيادة، ونهى عن أفعال مُحرمة أو مكروهة، والدين هو طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوى، والبرُّ والعمل الصالح والشرعة والمنهاج وإن كان بين هذه الأسماء فروق، وكذكره ذلك حَمِدَ أفعالاً هي الحسنات ووعد عليها وذم أفعالاً هي السيئات وأوعد عليها وقيد)[1].

تناولت الباحثة في هذا المبحث مجالات عمل الخير في الإصلاح الأسري، وتبدأ بإصلاح الأسرة وتزكيتها، وتنمية جوانب الخير والصلاح فيها؛ لأنّه بصلاح الأسرة يصلح المجتمع، إذ هي من المجتمع بمنزلة القلب من الجسد، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وذلك بالمحافظة على الضروريات الخمس، التي هي محور مقاصد الشريعة ، ومجالات عمل الخير فيها، بالنسبة للمسلم تكون بالآتي:

المطلب الأول: إصلاح دين الفرد والأسرة:

إصلاح الدين يكون بإقامة وإرساء قواعده بدءاً من الدعوة إليه وهي تشمل المسلم وغير المسلم، وذلك بتصحيح تأسيس العقيدة السليمة وتقويتها واجتناب ما يهدمها أو يضعفها، والتأسيس بالنظر والفكر واستيعاب عناصر العقيدة من الكتاب والسنة، وأهمها الإيمان وهو في المرتبة الأولى، ثم مرتبة العبادات المفروضة قال عليه السلام (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا

[1] مجموعة الفتاوى: ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا،48/20، دار الكتب العلمية،ط1، 1408هـ 1987م.

الله وأنّ محمداً رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان[2]) وكذلك باجتناب الكبائر كالشرك والردة، وقد شرعت عقوبة لها كما في قوله تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون)[3] لانّ الردة عن الإسلام هي من أخطر المفاسد التي تشكك في الدين وتفكك الأمة وتعمل على تفتيت كيانها، وهى أخطر من الكفر الأصلي لهذا شدد الإسلام في أمرها وجعلها محبطة للأعمال الصالحة. كما حذر من النفاق والريا والبدع إلى آخر الأعمال التي توثر في إقامة الدين. أيضاً في المحافظة على الدين شرع الإسلام الجهاد لإعلاء كلمة الله، قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة)[1]

وكذلك التخلق بأخلاق الإسلام الأساسية كالصدق والإخلاص والأمانة والوفاء والأعمال الصالحة. ومن ناحية عملية يكون ببناء المساجد ومدها بالأئمة ومن يقوم بخدمتها كتزويدها بالوقود والإنارة وهي من الضروريات، كما يمكن إنشاء المراكز الدعوية من أموال الصدقات، وإقامة مراكز تحفيظ القرآن الكريم التي لها دور بارز في غرس فضائل ومكارم الأخلاق في نفوس النشء، وكذلك تعليم النساء بالإضافة إلى تعلم أحكام التلاوة والأحكام الفقهية بإقامة الدورات الشرعية التي تتناول التخصصات الشرعية التي تستهدف كافة فئات المجتمع، وأن تحرص هذه المراكز اختيار علماء الشريعة المؤهلين والذين يقوموا بتبصيرهم بأمور الدين وبيان الأحكام الشرعية لما يستجد من معاملات في حياة المسلمين في كافة أحوال معايشهم، وإنشاء محطات إذاعية أو فضائية تعمل على إيصال صورة الإسلام الصحيحة للأفهام، والتصدي للأفكار الهدامة، وطبع كتب ونشرات بتصحيح ما

[2] صحيح البخاري- 913-127
[3] سورة البقرة الآية 217
[1] سورة التوبة الآية 111

شاب إيمانه من بدع؛ ويكون ذلك بإلقاء المحاضرات والندوات لترسيخ قيم الدين والمفاهيم الاجتماعية، والإرشاد والنصح الاجتماعي لحل المشكلات الاجتماعية التي للشرع فيها أحكام واضحة كمشكلات الطلاق والميراث والجرائم الحدية الكبرى، والهيئات الخيرية التي تقدم الكثير من التوجيهات في هذا المجال، أما بالنسبة لغير المسلم فدعوته للدخول في الإسلام ببيان أصول الدين الإسلامي وتجلية محاسنه ومآثره وما قدمه، ولا يزال يقدمه من خير للبشرية جميعها.

كل ما سبق ذكره من إصلاح لدين الفرد واستقامته والعمل على تنميته، فنلاحظ أن هناك هيئات ومنظمات خيرية لها اهتمام كبير بالفقراء والمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن، فيجب أن تكون العناية بهم وتأهيلهم على حسب قدراتهم، ويجب ألا يقتصر على توفير أموال شهرية أو سنوية بل يجب أن يتم تطوير الكفالة ليشمل الرعاية الصحية والتعليمية والتربوية وذلك بالتوعية والإرشاد والتوجيه حتى يكمل دراسته وينهض بنفسه وتوفير فرص تعليم له وتنميته ليختار تخصص دراسته حسب حاجات المجتمع ومؤهلاته. وتكون الجمعيات الخيرية هذه قد ساعدت كثير جداً في تنمية الفرد، وبذلك تمتد تنميتها للأسرة وتحويلها إلى آلة إنتاج وتدريبها على أنواع معينة (إنتاج محلي) حتى تصير قادرة على العطاء وبذلك تسهم في الاقتصاد القومي للتمكين من المساهمة في اقتصاد الدولة والمجتمع، وتتابع مع الأسر وتدريبها وتوجيهها وإرشادها لتحسن التصرف بالعائد، وأساليب الإنفاق السليم، ويمكن تحقيق ذلك من خلال مجموعة من البرامج والدورات التأهيلية والتدريبية والزيارات الإرشادية الدورية للباحثات الاجتماعيات. وكل ما سبق ذكره يمكن أن يقدم ما هو ضروري على الحاجي وما هو حاجي على التحسيني.

المطلب الثاني: حفظ النفس والعقل للفرد والأسرة:

حفظ النفس معناه حفظها من التلف كلية، وكذلك حفظ بعض أجزاء الجسد. ويسهم العمل الخيري في توفير كفاية النفس مما يحتاجه الجسد من طعام وشراب ولباس ومسكن، وقد شجع القرآن الكريم على مساعدة شريحة الفقراء والمساكين وذوي الحاجة والمحرومين بأن جعل لهم حقاً مفروضاً في مال الأغنياء يؤدى إليهم على سبيل الوجوب والإلزام لا على سبيل التفضل والتبرع، قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1]، قال تعالى: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)[2]. والقرآن يدعو إلى الإنفاق سراً وعلانية، ويثني على صدقة السر وعلى صدقة العلن تشجيعاً للنفوس على البذل والعطاء، حتى لا يحرم من هو مستحق للعطاء قال تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3]. ويدعو القرآن أن تكون نفقته خالصة لوجه الله لا منّ فيها ولا أذى؛ لأنّ المنّ يبطل الأجر، وكذلك ينهي عن القسوة في معاملة الفئات الضعيفة المحتاجة في المجتمع، ويجعل معاملتها بقسوة، وعدم الرأفة بها . وعدم مد يد العون لها من أخلاق المكذبين يوم القيامة، قال تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)[4]، وكذلك يجعل عدم إطعام المسكين من أساس العذاب الأخروي قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ *

[1] سورة التوبة: آية 60.

[2] سورة الاسراء: آية 26.

[3] سورة البقرة: آية 271.

[4] سورة الماعون: الآيات 1 – 3.

عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)[1].

كل ما سبق يمكن أن تقوم به الجمعيات التطوعية وذلك بتشجيع المقتدرين لمساعدة هذه الشريحة وتوفير ما تحتاج إليه، وفي مد يد العون والمواساة إليها من أفضل الأعمال الصالحة، وقربة من أعظم القربات إلى الله، وواجباً لا تبرأ ذمة المجتمع ولا ينجو من عذاب الله إلاّ بأدائه، وأحاديث النبي ﴿ﷺ﴾تشير إلى تفقد مثل هؤلاء قال ﴿ﷺ﴾: (لا يؤمن أحدكم بالله ولا ينام من بات شبعاناً وجاره جائع وهو يعلم)، وفيه إشارة إلى المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً، فيجب على هذه الجمعيات أن تتعهدهم بالرعاية والمتابعة والوقاية من الأمراض السارية والمخاطر كالحريق والغرق والتسمم وحوادث السيارات والكهرباء وعلاج ما يصيبه من أمراض وحوادث، وهذه كلها من الوسائل التي لا يتم حفظ النفس إلاّ بها فتأخذ حكم المقصد الضروري. فدور العمل الخيري يمكن أن يتمثل في إنشاء المستشفيات الخيرية التي تتكفل نفقات علاج المحتاجين والفقراء والمساكين والأيتام والمحرومين أولئك الذين يشكلون الحلقة الأضعف مادياً واجتماعياً في جميع المجتمعات، ويمكن لهذه المستشفيات استقبال الأغنياء أيضاً، وبذا يكون القطاع الخيري قد استثمر أمواله في علاج هذه الشريحة، كذلك يسهم الأطباء العاملون بالقطاع الصحي في تقديم خدمات للمحتاجين بأسعار زهيدة أو معدومة ابتغاء الأجر والثواب. وبما أنّ أهم أغراض علم الطب هو حفظ صحة الإنسان إذا كانت موجودة، وردها إليه إذا كانت مفقودة، والتغلب على المرض بالعلاج السريع والعمل على إرشاد الصحيح إلى ما يقوي بدنه، وتقديم المساعدة

[1] سورة المدثر: الآيات 38 – 48.

لشفاء المريض، وتقديم النصح والإرشادات الطبية وتعزيز الرصيد الصحي للأصحاء بما بدفع الآفات والعوارض الضارة بصحة الإنسان[1]. فقواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، والحماية من المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة[2]، لذا أباح سبحانه وتعالى الفطر للمريض بعذر وللمسافر طلباً لحفظ صحته.

ويسهم العمل الخيري أيضاً في الطوارئ التي تصيب الأفراد والأسر كالمتضررين من الفيضانات والكوارث الأخرى خاصة الذين فقدوا ديارهم، ويمكن أن يتمثل عمل الخير في إقامة دور الرعاية الاجتماعية والمراكز التي يسهم فيها أهل الخير بتقديم صدقاتهم التي تعنى بحفظ الأطفال الذين فقدوا أهاليهم في الحروب أو الحوادث، وكذلك حال اللقطاء الذين حرموا نعمة الانتساب الشرعي لأب، بلا ذنب اقترفوه.

ومما يكمل هذا المقصد، حفظ النفس، توفير الحرية الشخصية والكرامة للإنسان تحقيقاً لمعنى التكريم الذي اختص الله سبحانه وتعالى به الأنبياء تميزاً له من الحيوان؛ لأنّ الإنسان ليس جسداً مادياً بل أيضاً لكونه كياناً روحياً نفسياً، فحفظه لا يكون إلا بحفظ هذه الجوانب جميعها فتأخذ حكم المقصد الضروري[3].

أما بالنسبة لإصلاح العقل؛ فإن العقل هو مناط التكليف، ومكمن المحافظة على صفاء الفطرة ولهذا جعلت الشريعة المحافظة على مصلحة العقل من المقاصد الضرورية وشرعت الأحكام التي تبقى عليه وتنميه، ونهت عن كل ما

---

[1] محمود السعيد الطنطاوى، أضواء على تاريخ الطب، سلسلة دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس العلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ص8، القاهرة، ع 183، 1369هـ 1976م.

[2] حذيفة الخطيب، الطب عند العرب، ط16، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع، 1988م.

[3] د محمد عمر شبرا ، لرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة ،د محمد هو ،مستشار البحوث بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، بمجموعة البنك الإسلامي للتنمية ،جدة، ترجمة محمد أحمد مهدي ص 8 (بدون)..

يغيبه ويرديه. ومن المعلوم أن الإسلام دين العلم والمعرفة، ذلك لأنّ العلم هو باب الإيمان ومدخله، لذلك ركز الإسلام على قيم التفكر والتدبر والتأمل والاستبصار وأخذ العبرة، فبنى لذلك منهجاً للاستدلال على وجود الخالق وعظمته؛ لأنّ دعوته للعلم في الحقيقة هي إحياء القلوب والعقول قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[1]وبين أن العلم بالخالق مدخل لخشيته وطاعته ، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)[2]. لذلك جعل العلماء المحافظة على العقل من ضروريات الإنسان الخمس التي لا تقوم الحياة بدونها، وهو طريق الحصول على الزاد وبناء الحضارة .

ويكون حفظ عقل الفرد بالمحافظة على سلامة المخ والحواس والجهاز العصبي واجتناب ما يؤدي إلى إتلافها من كل مسكر ومخدر، وعلاج ما يطرأ عليها من أمراض نفسية وعصبية، وهناك المعارف والمهارات اللازم اكتسابها لكي يقوم العقل بوظائفه التي لا تقتصر على ما يتعلق بالعقيدة والعبادات، بل فروض الأعيان كالتعليم الأساس. وكذلك اجتناب السلوكيات المؤدية لتعطيل وظيفة العقل أو التشويش عليها كاتباع الهوى والتقليد الأعمى، والجدال والمكابرة مما يتنافى مع التفكير العلمي، كما يحث القرآن على إعمال العقل كملكة فطرية. وذكر عبد المجيد النجار: إنّ تنمية العقل تكون بتغذيته بالعلوم والمعارف، وتنمية جوارح الفرد تكون بإكسابها القوة بإدراكها المحسوسات وأداء المنجزات العملية[3].

ويكون عمل الخير في إصلاح وحفظ العقل للفرد والأسرة بواسطة الوقف على المدارس والمعاهد ودور العلم ومراكز الدعوة والإرشاد، وتزويدها بما

---

[1] سورة آل عمران: آية 190.

[2] سورة فاطر: آية 28.

[3] الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ،عبد المجيد النجار ،ص95 مجلة التجديد، العدد الأول 1417ه 1997م

تحتاج إليه من الطاقات البشرية والموارد المالية، حتى تسهم في حفظ عقل الفرد من خلال العناية بتزويده بالعلوم الدينية والتربوية، وكذلك بتصديها ومحاربتها للأفكار الهدامة، التي تعمل على نشر الفاحشة والرذيلة بين صفوف المسلمين، وتبصير الشباب المسلم بكل ما من شأنه الإضرار بعقولهم من المسكرات والمخدرات.

المطلب الثالث: حفظ النسل والمال:

بقاء النسل من الضروريات الخمس التي يجب المحافظة عليها، وفيه المحافظة على النوع البشري من الانقراض، وقد وضعت الشريعة العديد من الأحكام لتحقيق ذلك، ولضبط العلاقة وتنظيمها بين الجنسين، ومن وسائل القرآن الكريم في إصلاح المجتمع أنّه يعمل على تنظيم وضبط الدوافع الغريزية (الفسيولوجية) حتى تؤدي دورها الصحيح في حفظ الذات وبقاء النوع الإنساني. ولابد أن نفرّق بين الضبط والكبت؛ لأنّ الكبت هو إنكار الرغبة واستقذارها، ومحاولة إبعادها نهائياً. أما ضبطها كما ورد في القرآن الكريم وعلم النفس معناها (أن يتم تنظيم إشباعها بطريقة صحيحة، وأن توجه توجهاً سليماً يعود بالخير والنفع على الفرد والمجتمع)[1].وهذا يتم بالزواج الذي فيه مجال لتمثيل القيم الإسلامية الموجهة للسلوك العام داخل المحيط الصغير (الأسرة)، أولاً، ومن حيث تنظيم العلاقة بين الأزواج وبين كل واحد منهم والأبناء، ثم بين كل هؤلاء وذوى الأرحام، ثم تتوسع الدائرة إلى الجار الجنب، والصاحب بالجنب، فإلى المحيط الاجتماعي الإنساني الواسع. يقول ابن خلدون (في فطرة الإنسان منزع اجتماعي يدفعه إلى التآلف مع الآخرين لحفظ ذاته وحفظ نوعه، إذ لا يتأتى ذلك إلا

[1] محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، ص 55 – 56، دار الشروق، مصر، ط7، 2001م.

بالتآلف الجماعي)[1].فالزواج الشرعي وضع له العديد من الأحكام التي تنظمه منها: الحض على الزواج وإباحة التعدد (بشروطه) والطلاق (بشروطه)، واجتناب العلاقات خارج الزواج من زنا وشذوذ (لواط وسحاق)، وسد طرق الإغراء بالعفة والحجاب، ومنع الخلوة وغيرها، ورغبت في الإنجاب وحرمت وأد البنات والإجهاض، ويمكن أن يسهم العمل الخيري من خلال مؤسساته في الحث على الزواج الشرعي، وتبصير الناس بأهمية التقليل من الأعباء المالية التي ترهق كاهل الشباب المسلم، وتؤدي إلى عزوفهم عن الزواج. كذلك التوجيه المستمر والإرشاد للشباب بالابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الزنا والممارسات غير الشرعية، ويمكن للجمعيات المختلفة كجمعيات أمهات المؤمنين وجمعيات العفاف الخيرية أن تقيم حفلات الزواج الجماعية، وتدعو لتقليل المهور، ومحاربة العادات الاجتماعية التي تقف عائقاً في تحقيقه والمساهمة في نفقاته المختلفة وتوفير السكن الذي يشكل هاجساً كبيراً يقعد بالشباب عن الإقدام عليه ويمكن دعم ذلك من مال الزكاة والأوقاف والصدقات التطوعية والتي يساهم فيها عدد كبير من الخيرين.

أما بالنسبة للمال فإنّه-من المنظور الإسلامي–لله، وأنّ الإنسان مستخلف فيه، ومطلوب منه عمارة الأرض. إذن الملكية وظيفة اجتماعية (ليست حقاً مطلقاً)، وأنّ الإنسان مستخلف، أي أنّ العمل واجب للكسب ولعمارة الأرض، وقد شرعت الأحكام الخاصة بالعمل والعقود الناقلة للملكية والميراث وإحراز المباحات، وما يتعلق بها من ضوابط الكسب الحلال والإنفاق المشروع، وأداء حق الله واجتناب كنز الأموال، وهضم حقوق الآخرين وأكل أموالهم بالباطل والإضرار بالغير والبطر والغرور والإلهاء عن ذكر الله وشكره، وقد شرع الحث على إنماء المال

[1]مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،ص39، مطبعة الشعب، بيروت، ط1، 2005م.

وإصلاحه وعدم إضاعته وإتلافه[1]. إنّ من أبرز الوسائل التي تعمل على تنمية المال وبركته الزكاة والصدقات التطوعية فإخراجها سبب للنماء في المال، قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2] وفي الحديث الشريف ما روته أم سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾قال: (ما نقص مال من صدقة)[3]. فالمال ينمو بالزكاة وإيتاء الزكاة معين لمنع الاكتناز، وهذا يعني إعمال الأحكام الشرعية بتوظيف المال وتشغيله، اتقاءً لعذاب الله وإثم الاكتناز، وتحاشياً للنقص في رأس المال بسبب الإقطاع منه بالزكاة، وكل هذا يعني توظيف المال وتحريك عناصر الإنتاج، وبالتالي مضاعفة الإنتاجية والدخول، وتحقيق الرفاء الاقتصادي والاجتماعي للأفراد[4].

وقد ذكر أحمد عبد العزيز (أن أداء ما وجب في المال من حقوق مآله المحافظة على أصل المال، بل تنميته ومضاعفته، وإذا كان الشرع يحبذ نماء المال لما فيه نفع الناس، وإصلاح معاشهم، فإنّ أجل ما ينفع الناس أموال الأوقاف، التي إنّما جعلت ليعم نفعها، ويعود خيرها وأجرها لموقفها في دنياه وآخرته[5] وكذلك يعود على الموقوف عليهم بحفظ مقاصدهم الشرعية التي أناط الشارع الحكيم حفظها بما شرع من أحكام.

المطلب الرابع: دور عمل الخير في إصلاح وتطوير وتنمية المجتمع:

كما أنّ للعمل الخيري دوراً كبيراً في الإصلاح الأسري (إصلاح الفرد والأسرة) كذلك يؤدي دوراً مهماً وإيجابياً في إصلاح وتطوير وتنمية المجتمع حتى

---

[1] د أحمد عبد العزيز ، الاستثمار في الوقف وغلاته وريعه، مجلة مجمع الفقه ، ع 15، ص 363.

[2] سورة التوبة: آية 103.

[3]، ابن حجر العسقلاني فتح البارى شرح صحيح البخارى :18/13

[4] غازى عناية ،الاستخدام الوظيفي للزكاة، ص 30، دار الجيل، 1989م.

[5] أنظر أحمد عبد العزيز: مجلة مجمع الفقه، مرجع سابق، ع15، ص 363 – 364.

يكون سلوك المجتمع حسناً، ويساعد في تنمية جوانب البر فيه وإعلائها ومحاصرة جوانب الشر وإضعافها؛ وذلك من خلال المؤسسات التطوعية الخيرية التي تتيح لكافة الأفراد المساهمة في عملية البناء والإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، كما ينمي الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين ويشعرهم بقدرتهم على العطاء، وهو يحقق الترابط والتآلف والتكاتف والتآخي بين أفراد المجتمع وصولاً إلى المجتمع المتراحم كالمجتمع الأنموذج مجتمع النبي ﴿ﷺ﴾وصحابته الكرام ومجتمعات القرون الثلاثة التي تلت عهد النبي ﴿ﷺ﴾وتحقيقاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1] وهذه الآية تحقق مبدأ من أهم مبادئ الحياة الاجتماعية وأنفعها للإنسانية، ذلك أنّ الحياة الاجتماعية لا تقوم إلاّ على التعاون، وتلك هي فائدة الاجتماع الإنساني؛ أن يتعاون الناس فيما بينهم على جلب المصالح ودفع المضار والمفاسد، ولا يمكن أن ينهض مجتمع وأن تبنى حضارة إلاّ بالتعاون والتعاضد والتآزر، وقد عرف علماء الاجتماع التعاون بأنّه (يقصد به المشاركة في عمل ما، أو مسؤولية ما لتحقيق هدف مشترك)[2].

ترى الباحثة أنّ أهم عامل لنجاح العمل الجماعي أو المجتمعي، إصلاح ما بين الأفراد والجماعات من النزاعات والخصومات خاصة بين القبائل؛ لأنّه لا يمكن تقديم عمل مثمر ومفيد وقلوب الأفراد مشحونة بالحقد، لذا وجه القرآن منذ عهد الصحابة في إصلاح ذات البين، كما في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ

[1] سورة المائدة: آية 2.

[2] أسس علم الاجتماع، عبد الهادي الجوهري، ط61، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، 1991م.

قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[1] وقد جاء في سبب نزول الآية كما في تفسير الإمام الطبري (هو ما وقع بين الصحابة من اختلاف في غنائم معركة بدر)[2]، وبالرغم من أنّ مجتمع الصحابة هو خير مجتمع عرفته الإنسانية؛ لذا لابد من إصلاح ذات البين، وقد أثنى الله تعالى على الذين يصلحون بين الناس، ووعدهم بجزيل الأجر، وعظيم الثواب، إذا خلصت لله نياتهم قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[3]، وقد بينت سورة الحجرات خطوات الإصلاح حتى لا تتطور الخصومات والمشكلات بين الأسر والأفراد والقبائل خاصة الصراع الذي أصبح اليوم مسلحاً والعياذ بالله. و قد ذكر النبي ﷺ في حديثه (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا)[4] وكما هو معروف أنّه بصلاح الفرد تصلح الأسرة، وبصلاح الأسرة - وهي النواة الأولى في المجتمع - يصلح المجتمع وصلاح الأمة جمعاء، ويتحقق صلاح الأمة بحفظ ثروتها وتنميتها، ويكون ذلك بحفظ أموالها من الإتلاف ومن الخروج إلى أيدي غير الأمة بدون عوض، ولتحقيق ذلك هناك الكثير من الأحكام كتشريع الزكاة فيه حق إجباري وحق تطوعي في وجوه الخير الذي يصل إلى إنفاق العفو (أي الزائد عن الحاجة) الآنية في صورة الصدقات، والدائمة في الوصايا في حدود الثلث، والمؤسسية (الأوقاف الخيرية)، والنصوص صريحة، كقوله تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ

---

[1] سورة الانفال: آية 1.

[2] انظر جامع البيان في تفسير آي القران للإمام الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، 224/6، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1408هـ 1988م.

[3] سورة النساء: آية 114.

[4] صحيح مسلم، باب النهى عن التحاسد والتباغض والتدابر، حديث رقم (6695)،8|8)

مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)[1] وقوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[2].

وإذا ألقينا نظرة إلى الدول المتطورة وكذلك النامية نجد أنّ الجمعيات التطوعية لها دور كبير في الرعاية والتطور، فهي تقدم المساعدات الإنسانية في مجالات محو الأمية والتطعيم وحماية البيئة إلى غيرها. وهي تهدف إلى الارتقاء بالمجتمعات في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية، ومن المسلمات أنّ التنمية تقوم على الجهد البشري، لكن لابد من وضع الخطط الواضحة والمحددة والاستفادة من الموارد البشرية، وإشراك أفراد المجتمع كافة: الشباب والمرأة وجميع فئاته، وأن يكون هدف الجميع زيادة الإنتاج من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، (والتي تشمل الأرض والقوى العاملة ورأس المال والتنظيم والاستثمار، وهي أساس لإنتاج أية سلعة أو خدمة في أي نظام اقتصادي، ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال تحديد الأولويات، مثلاً تقديم الخدمات الأكثر أهمية وحاجة المجتمع لها ماسة، فيكون دور هذه المنظمات الاستفادة من الطاقات المهدورة وغير المستخدمة في كثير من المجتمعات ، ويكون لابد من ترسيخ مفهوم العمل التطوعي، والحث عليه بين جميع فئات المجتمع لتشجيع كل الأفراد، ويكون من الأهمية بمكان تخصيص إدارة عامة لتحديد المجالات التي من خلالها يمكن أن يتطوع الأفراد مثلاً: إنشاء قسم العمل التطوعي في كل أو أغلب المؤسسات والمنظمات يسعى لجذب الكفاءات المتعددة لتساهم بكل تطوعي والاستفادة من خبراتهم خلال أوقات فراغهم، وحسب تخصصاتهم

[1] سورة الحديد: آية 7.

[2] سورة النور: آية 32.

والمجالات التي بإمكانهم المساهمة فيها مما يزيد من معدل المشاركة بين فئات المجتمع المختلفة[1]، فمثلاً لدينا في السودان نماذج شتى لأعمال طوعية – حملات التطعيم التي تشمل كل أطفال الوطن، وحملات مساعدة المتضررين من جراء الفيضانات والكوارث ، نجد أنّ عدداً مقدراً من المتطوعين ليسهموا فيها، وكذلك حملات النظافة العامة وإصحاح البيئة وإطفاء الحرائق، والاهتمام بالحدائق العامة، وحملات النصح والإرشاد بالنسبة للمسجونين رجالاً ونساءً، وتوفير المكتبات العامة (وشعارهم فيها تبرع بكتاب واحد ليستفيد غيرك مثلاً)، لكن ما ينقصها أنها تقتصر على فئات معينة، والإعلام عنها بطريقة غير مكثفة لتصل إلى كل فرد، لذا صار دورها محصوراً على مدن معينة أو أحياء معينة.

وقد قام المجتمع المدني الإسلامي متمثلاً في نظام الأوقاف بإقامة المرافق العامة ومجال المدارس والجامعات والمستشفيات والفنادق لراحة المسافرين، وتسهيلات مياه الشرب (في سبيل الله)، وقد شملت هذه الخدمات حتى غير المسلمين وتعدت إلى جمعيات (الرفق بالحيوان) وإلى النبات (عدم قطع الأشجار) والجماد إلى آخره. فإذا قارنا هذا الهدى النبوي في مقاصد الإسلام في الحفاظ على بقاء المجتمع الإنساني، بما نراه من مشاهد وأحداث تدور في واقعنا المعاصر ،من تقتيل وتشريد وما تهيئه المدنية المادية من وسائل الدمار للإنسانية والقضاء على الحياة البشرية والعمرانية، يؤكد لنا أنه لا نجاة للعالم ولا نهوض للحضارة ولا عمران إلا بالرجوع إلى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً. وهناك الكثير من النصوص الجامعة التي تدل دلالة قاطعة على الأهمية التي أولاها النهج النبوي لتماسك المجتمع ووحدته، بناء على منظومة قيم جامعة ترسخ كل سلوك إيجابي

[1] أنظر العمل الخيرى في ضوء القواعد المقاصدية، د تمام عودة العساف وأ د محمد حسن أبو يحي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية المجلد الثامن العدد (3) 1434هـ 2012م.

خير، وتنفى كل سلوك مناقض لقيم التعايش والأخوة والوفاق، وقد شبه النبي﴿ﷺ﴾المجتمع المؤمن كالبنيان حين قال:(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه)[1]، وقال أيضاً: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2]

فمؤسسات العمل الخيري والتطوعي يمكن أن تسهم من خلال برامجها وأنشطتها في مجالات خدمة المجتمع خاصة الخدمية، في تخفيض تكاليف إنتاج السلع والخدمات ومن جهة أخرى تسهم في الاقتصاد والناتج القومي؛ وذلك إذا ما تم الاعتماد عليها في تنفيذ بعض البرامج خاصة الخدمية كالتنظيم أو الإدارة أو القوى العاملة أو حتى رأس المال، فهذا حتماً سيؤدي إلى خفض التكاليف ويحقق انخفاض في الأسعار. ويحقق ذلك تقليصاً للإنفاق الحكومي مما يساعد الحكومة على توسيع الخدمات للمجتمع[3].

ومن جهة أخرى يمكن لهذه المؤسسات والجمعيات أن تنقل إلى جهات صنع القرار في إنشاء المشاريع التنموية بصورة أكثر وضوحاً، وذلك لعلاقتها الوطيدة بالفئات المستهدفة وعمق معرفتها باحتياجاتها الملحة والمشكلات والمعوقات التي يمكن أن تصادف هذه المشاريع حتى تتلافى الجهات المسؤولة المخاطر والإخفاق وهذا في رأي الباحثة من أهم الأمور التي تقوم بها هذه الجمعيات. وهناك توجيه نبوي عظيم الدلالة في ميدان التنمية وهو قوله ﴿ﷺ﴾(إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة إن استطاع أن يغرسها

[1] صحيح البخاري، البخاري، باب نصر المظلوم ،حديث رقم (2314)،2242/5.

[2] صحيح البخاري، باب رحمة الناس والبهائم ،حديث رقم 5665 ،2238/5.

[3] أحمد عرفه، باحث دكتوراه ، مرجع سابق.

[3] يوسف بغدادي، ورقة بحثية ،عبادات ومعاملات ،أكتوبر 2012م..

فليغرسها)[1]. ففي الحديث إشارة إلى استدامة التنمية والمحافظة عليها والاهتمام بالمرافق العامة وإصحاح البيئة. إنّ المقاصد في الكتاب والكون والأنفس وضعت لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات :

توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1- لفظة الخير وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية بدلالات مختلفة وسياقات عديدة، وكلها تحض على عمل الخير ومدح فاعله وتحذر من تجاهله وعدم الاهتمام به.

2- كثير من الآيات تربط عمل الخير بالعبادة وبالآخرة، ودعوة الإسلام صريحة في الدعوة لمساعدة أفراد المجتمع ولمعالجة الكثير من مشكلاتهم.

3- عمل الخير هو عمل خال من الربح فالمتطوع يبذل جهده، وهدفه هو رضا الله ﴿ﷻ﴾، وينمي الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين ومقدراتهم على العطاء.

4- طبيعة عمل الخير ملازمة للمصلحة والإنسانية ومقاصد الشريعة العامة التي وضعها الخالق لتحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة.

5- لعمل الخير دور كبير في إصلاح الفرد؛ وذلك من خلال المحافظة على ضرورياته الخمس، الدين، النفس، العقل، النسل والمال).

6- كما يلعب عمل الخير دوراً كبيراً في تطور وتنمية المجتمع؛ وذلك عبر المؤسسات التطوعية والجمعيات الخيرية والمنظمات التي تسهم بقدر كبير في تقديم الخدمات للمجتمعات في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية، وبذلك يتحقق الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع وصولاً إلى مجتمع التراحم.

[1] مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، وبهامش منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم (13004)، 191/3.، دار الفكر، (بدون)

أخيراً توصي الباحثة بالآتي:

1- يجب أن يسارع كل فرد في المجتمع في إثراء العمل الخيري وإخراج ما عليه من زكاة إلزامية أو صدقات تطوعية عن طيب نفس لنيل رضا الله سبحانه وتعالى وأجره.

2- يجب على المنظمات الخيرية والتطوعية أن تضع نصب أعينها تحقيق مقاصد الشريعة التي تسعى لحفظ ضروريات الفرد والأسرة

3- كما يجب على أجهزة الإعلام والإعلان ووسائل التواصل الاجتماعي أن تمنح الجمعيات الخيرية والتطوعية مساحة مجانية لإبراز عملها ويمكن للمجتمع المساهمة وشحذ الهمم ونشر ثقافة الوقف والإيثار.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الاستثمار في الوقف وغلاته وريعه، د. أحمد عبد العزيز، مجلة مجمع الفقه

3- الاستخدام الوظيفي للزكاة: غازي عناية، دار الجيل، 1989م.

4- الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ،عبد المجيد النجار، مجلة التجديد، العدد الأول 1417هـ 1997م.

5- أسس علم الاجتماع، عبد الهادي الجوهري، ط61، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، القاهرة، 1991م.

6- الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، بدون طبعه.

7- أضواء على تأريخ الطب، سلسلة دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس العلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، محمود السعيد الطنطاوي، القاهرة، ع 183، 1369هـ 1976م

8- تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة، دار القلم للطباعة والنشر، الكويت،ط1410،1هـ، 1990م

9- الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة، د. محمد عمر شابرا، مستشار البحوث بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، بمجموعة البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ترجمة محمود أحمد مهدي، (بدون)

10- الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام: د. إبراهيم بيومي، مجلة التفاهم، 2012م.

11- العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، د. تمام عودة العساف، وأ.د محمد حسن أبو يحي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد(3) 1434هـ،2012م.

12- سلسلة المنهاج، الشيخ هاشم محمد، مكتبة دار البيان، الكويت،ط2، 1989م.

13- صحيح مسلم، الإمام مسلم أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع،ط1419،1هـ، 1998م.

14- الطب عند العرب: حذيفة الخطيب، ط16، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1988م.

15- عبد الرحمن الكيلاني: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق ط1، 2000م.

16- علال الفاسي: مقاصد الشريعة ومكارمها، نشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.(بدون)

17- فتح الباري شرح صحيح البخاري: طبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، طبعة استانبول.

18- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة مصطفى الحلبى، القاهرة، بدون.

19- الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، 1999م.

20- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (بدون)

21- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان تجاني، دار الشروق، مصر، ط7، 2001م.
22- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، دار القلم، دمشق، 2000م
23- قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، قطب الريسوني، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دبي، 2008م.
24- قيمة الخير العام والمصالح الإنسانية في القرآن وإدراكات الفقهاء، د. وهبة الزحيلي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ورقة عمل.
25- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري، بيروت، دار صادر، 1997م.
26- مجموعة الفتاوى ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،ط1، 1408هـ ، 1987م.
27- المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1.،1413هـ.
28- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسن أحمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.
29- المقاصد الشرعية: نور الدين مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، ط، 1421هـ، 2001م.
30- مقاصد الشريعة، محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة الاستقامة، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر بدون تاريخ.
31- مقدمة ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

32- من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع: أمين نعمان الصلاحي، سلسلة كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات، قطر، العدد 127، السنة 28، ط1429،1هـ 2008م.

33- الموافقات، أبو اسحق الشاطبى، بيروت، دار المعرفة، 1975م.

34- الموافقات: الشاطبى إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، 1994م.

35- موسوعة علم الاجتماع: إحسان محمد الحسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1999م.

36- يوسف القرضاوي: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، دار الشروق، ط2، 2008م.

37- يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1991م 1421هـ